

تطبيق 08/ شعر ابن دراج القسطلي

نبذة عن الشاعر ابن دراج القسطلي:

ولد أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي في (قسطلة درّاج) وهي بلدة غرب الأندلس وكانت ولادته عام (347هـ/958م) وقيل أن هذه البلدة منسوبة إلى جده.

نبح القسطلي في الشعر حتى عدّ في طليعة كبار الشعراء الذي أثروا الأدب الأندلسي قال عنه الثعالبي: (كان بصقع الأندلس كالمتني بصقع الشام) (2)

وقال عنه ابن بسام: (أنه كان لسان الجزيرة شاعراً وأولاً حين عده معاصروه من شعرائها وآخر حاملي لوائها وبهجة أرضها وسمائها وأسوة كتابها وشعرائها). (3)

كما شبهه ابن الأبار القضاعي بالمتني فقال: (ابن هانئ وأبو عمرو بن دراج القسطلي نظيران لحبيب والمتني).

نماذج من شعره

ظهر ابن دراج بين شعراء قرطبة في أواخر فترة الخلافة فالتقى بالمنصور ابن أبي عامر أمير قرطبة وتقرّب منه ومدحه بقصيدة مطلعها:

أضاء لها فجرُ النهى فنهاها *** عن الدَّنْفِ المِضْنِي بجرِّ هواها

وظللها صبحُ جلا ليلة الدجى *** وقد كان يهديها إليّ دجاها

وهي قصيدة قوية السبك متينة البناء جزلة المعاني جعلت الشعراء المعاصرين له والمقرّبين من ابن أبي عامر يخشون منافسته لهم فاتهموه بالانتحال والسرقة وقد بذل ابن دراج جهداً كبيراً ليبتل هذا الاتهام ويثبت امتيازه وصدق شاعريته لكن تهم الحاسدين كانت تزداد عندما قرّبه ابن أبي عامر وقدر كفايته الشعرية وتوثقت عرى صحبته له فارتفع شأنه بين شعراء الأندلس والمغرب وقدّره النقاد المعاصرون له وأشادوا بنبوغته وعبقريته فقال عنه عبد الواحد المراكشي بعد أن أشار إلى قوله:

تلاقت عليه من تميمٍ ويعربٍ *** شمسٌ تالئى في العلا وبدورٍ

من الحمريين الذين أكفهم *** سحائبُ تهمى بالندى وبحورٍ

(أبو عمر هذا من فحول شعراء الأندلس والمجيدين منهم.. وكنت أنا في أيام شببتي مولعاً بشعره كثير الدراسة له) .. ثم يذكر له بيتين قال أنه ارتجلهما وهما:

أجد الكلام إذا نطقت وإنما *** عقلُ الفتى في لفظهِ المسموعِ

كالمِرءِ يختبِرُ الإناءَ بصوتِهِ *** فيرى الصحيحَ به من المصدوعِ (4)

وقال عنه ابن فتوح الحميدي: (كان كاتباً من كتاب الإنشاء في أيام المنصور أبي عامر وهو معدود في جملة العلماء، والمقدمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء وإن طريقتة في البلاغة والرسائل تدل على اتساعه وقوته).

ثم ينقل الحميدي عن أحد أدباء الأندلس قوله: (لو قلت أنه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج لم أبعده). (5)

وقال آخر: (لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبي).

وقد خصص له مؤرخ الأدب الأندلسي أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني في كتابه (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) فصلاً مطولاً في القسم الأول من المجلد الأول نقل فيه قول ابن حيان في القسطلي: (أبو عمر القسطلي سباق حلبة الشعراء العامريين وخاتمة محسني أهل الأندلس أجمعين).